الباب الثالث

العلم والعمل
حق المرأة فى التعلم والتعليم

أولاً : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة :

لقد أمرنا الله عز وجل بالعلم وحثنا عليه منذ أول كلمة نزلت على الرسول الكريم من كلمات وحى الله عز وجل فى قوله تعالى :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ. ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1]

ولا يمكن المساواة بين العالم والجاهل فى المنزلة والمكانة . يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[2]

ومن توجيهات القرآن الكريم لرسول الله ﷺ ـ فضلاً عن غيره ـ أمره بأن يقول :

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[3]

واعتبر رسولنا الكريم ﷺ طلب العلم فريضة وركناً من الإيمان بالله ، شأن المرأة فى ذلك شأن الرجل سواءً بسواء ، ففى الحديث الشريف عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

[طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ] . ولفظ المسلم فى الحديث عام يشمل الذكر والأنثى على السواء[4] .

---

(١) سورة العلق ـ الآيات من ١ ـ ٥

(٢) سورة الزمر ـ من الآية التاسعة

(٣) سورة طه ـ من الآية ١١٤

(٤) رواه ابن ماجه وغيره (الترغيب والترهيب ، ج ١)

فللمرأة حقها الكامل فى التعلم والتعليم ، ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

[مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِى فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إلى الجَنَّةِ ، وإنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فى السَّمٰواتِ ومَنْ فى الأَرْضِ ، حَتَّى الْحِيتَانُ فى الماء ، وفَضْلُ العَالِمِ على العَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمر على سائِرِ الْكَواكِبِ ، وإنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبياء ، وإنَّ الأنبياء لَمْ يُوَرِّثُوا دِيناراً ولا دِرْهَماً ، وإنَّما وَرَّثُوا الْعِلْم ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِر] (١) .

وروى الترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

[فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِى عَلَى أَدْنَاكُمْ . . إنَّ الله ومَلائِكَتَهُ وأَهْلَ السَّمواتِ والأَرْضِ ، حتى النَّمْلَة فى جُحرها ، وحتى الحوت ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِى الناسِ الْخَيْرَ] .

فبالعلم تنضج العقول ، وترتفع النفوس ، وتصفو القلوب .

وفى حديث شريف للرسول ﷺ يقول :

[أَلاَ أُخْبِرُكُم بِأَجوَد الأَجْوَادِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : اللهُ الأَجْوَادُ ، وَأَنَا أَجْوَدُ وَلَدِ آدَمَ ، وأَجْوَدُ مَنْ بَعْدِى رَجُلٌ عَلِمَ عِلْماً فَنَشَرَهُ ، يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ ، وَرَجُلٌ جَاهَدَ فى سَبِيلِ الله حَتَّى قُتِلَ] (٢) .

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

[إذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له] .

فالمرأة المسلمة الناجحة فى الحياة يجب أن تتمتع بثقافة إسلامية عالية ، كما يجب أن تشغل فكرها بثقافات عامة فى جميع مجالات الحياة حتى تستطيع أن تدبر أمور بيتها ،

(١) رواه أبوداود والترمذى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) متفق عليه .

وترعى زوجها وأولادها ، وتربيهم التربية الإسلامية العلمية الصحيحة بقدر ما تملك من ثقافات فى مختلف نواحى الحياة .

وفى الحديث الشريف الذى يرويه الشيخان والترمذى عن النبى ﷺ أنه قال :

« مَنْ بُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ » .

وهل هناك إحسان للبنات أعظم من تعليمهن تعليماً يرتقى بهن إلى مستوى التفكير والسلوك العلمى المنظم .

ومما يجب أن يتعلمه الإنسان ـ ذكرًا وأنثى ـ التفقه فى الدين ، فقد قال النبى ﷺ :

« مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فى الدِّينِ » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « ما قُرِنَ شَيءٌ بشيء أَحْسَنَ مِنْ حِلْمٍ إلى عِلْمٍ » .

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه :

« تَعَلَّمُوا العِلْم ، فإن تعليمَهُ لله خَشْيَةٌ ، وطلبهُ عبادةٌ ، والبحثَ عنه جهادٌ ، ومذكراتَه تسبيحٌ ، وتعليمهُ لِمَنْ لا يعلمُه صَدَقَةٌ ، وبَذْله لأهله قُرْبة » .

وقال على بن أبى طالب :

«كَفَى بالعِلْمِ شرفاً أن كل أحد يدعيه ، وإن لم يكن من أهله ، وكفى بالجهل خزياً أن كل أحد يتبرأ منه ، وإن كان به موسوماً » .

وقيل لحكيم : لِمَ لَمْ يجتمع العلم والمال ؟ قال : لعز الكمال .

ولقد وصى رسول الله ﷺ بإكرام العلماء وإجلال المعلمين ، فروى الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ، ﷺ : « تَعَلَّمُوا العِلْمَ ، وتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ ، وتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ » .

وروى أحمد والطبرانى والحاكم عن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله ﷺ قال :

« لَيْسَ مِنْ أُمَّتِى مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لَعَالِمِنَا (حَقَّهُ) » .

وروى الطبرانى فى الكبير عن أبى أُمامة ، أن رسول الله ﷺ قال :

[ثَلاَثٌ لا يَسْتَخِفُّ بِهِمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ : ذُو الشَّيْبَةِ فى الإِسْلاَمِ ، وذُو الْعِلْمِ ، وإِمَامٌ مقْسِطٌ] .

وقد عوتب الإمام الشافعى على تواضعه للعلماء فقال :

أهينُ لهم نَفْسِى فهم يُكرمونها ولن تُكْرَمَ النفسُ التى لاتهينها

ورحم الله شوقى حين قال :

قم للمعلم وَفِّهِ التبجيلا كادَ المعلمُ أن يكون رسولا

وروى الترمذى عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال :

« الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ ما فِيهَا إِلاَّ ذِكْر الله تعالى وما وَالاَهُ ، وعَالِمًا أو مُتَعَلِّمًا » .

وقيل : قال النبى ﷺ : « سَأَلْتُ جِبْرِيلَ ، عَلَيْهِ السَّلامُ : أَىُّ الجِهَادِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : طَلَبُ العِلْم ، قُلْتُ : ثُمَّ أىّ ؟ قَالَ : زِيَارَةُ الْعُلَمَاءِ » .

وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ خَرَجَ فى طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فى سَبِيلِ الله حَتَّى يَرْجِعَ » .

ومن مظاهر تشجيع الإسلام على العلم أن الرسول ﷺ فى غزوة بدر سمح للأسرى الأغنياء بالفدية بالمال ، ومن لم يستطع أطلق سراحه بلا مقابل ، كما افتدى بعضهم نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، وكانت هذه البادرة إشارة طيبة إلى اعتناء الإسلام بالعلم والحرص على طلبه ، والحرص على إدراكه بكل وسيلة .

ومن طريف ما يروى : أن رجلاً من ثقيف دخل على الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : أقرأت القرآن «قال الأعرابى : لا يا أمير المؤمنين ، أمور شغلتنى عنه . قال الوليد : أتعرف الفقه ؟ قال الأعرابى : لا . قال الوليد : أفرويت من الشعر شيئاً ؟ قال الأعرابى : لا . فأعرض الوليد عن الأعرابى . فقال أحد الجالسين : يا أمير المؤمنين وأشار إلى الرجل . قال الوليد : اسُكت فما معنا أحد .

أى أن الذى لم يقرأ القرآن ، ولم يعرف الفقه ، ولم يرو الشعر ، ولم يدرس الدين ، يكون كالعدم لا وجود له ولا اعتبار ، وإن كان موجودًا بشخصه ، وحاضرًا بذاته[1].

ثانياً: سعى المرأة المسلمة إلى التعلم والتعليم :

(أ)عهد النبوة والعهود التالية :

لقد أمر الله تعالى نساء النبى ﷺ بالتعلم والتعليم مساهمة فى نشر دين الله ، قال تعالى :

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[2]

وكان النبى ﷺ ينيب السيدة عائشة رضى الله عنها فى شرح المراد من حديثه لمن لاتعى مايقوله الرسول ﷺ ، مما فى تصريحه إحراج للسائلة ، كما حدث عندما سألته امرأة من الأنصار عن غسلها من الحيض ، فأراها الرسول ﷺ كيف تغتسل ، ثم قال لها : خُذى فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرِى بِهَا . فقالت السَّائِلَةُ : كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا ؟ فأفهَمَتْهَا السيدة عائشة بوضع القُطْنَةِ المُطَيَّبَةِ بالمِسْكِ فى المَكَانِ الذى يخرجُ منه دَمُ الحَيْضِ إتْمَاماً لِلطَّهَارَةِ .

وقد سعت المرأة المسلمة إلى العلم منذ بداية عصر النبوة .

ورُوِى أنَّ النساء كُنَّ يَحْتَشِدْنَ لسماعِ النبى ﷺ ويحضرن الصلاة الجامعة معه من أجل التعلم .

ونظراً لأن صلاة المرأة فى بيتها أفضل من الصلاة فى المسجد ، من أجل عدم الاختلاط والتزاحم ، فقد خصص النبى ﷺ لهن باباً يسمى حتى الآن فى مسجد الرسول «باب النساء» .

---

(١) عيون الأخبار ، لابن قتيبة .

(٢) سورة الأحزاب ـ الآية ٣٤ .

فعن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، قال :

قَالتِ النساءُ للنبى ﷺ :

« غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ نَأْتِكَ فِيهِ تُعَلِّمنا مِمَّا عَلَّمَكَ الله» . فقال لهن الرسول : « اجْتَمِعْنَ يوم كذا وكذا فى مَوْضِع كَذَا » فاجتمعن فأتاهن النبى ﷺ فوعظهن وأمرهن وعلمهن مما علمه الله [1] .

وفى حديث البخارى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاء الأَنْصَارِ ، لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فى الدِّينِ » [2] .

وكانت المرأة المسلمة فى العهود التالية لعهد الرسول ﷺ وصحابته ، على جانب كبير ودراية بالعلم فيما ينفعها فى دينها ويحفظ عليها سمعتها ونقاءها ، وبما يُهَيِّئُها للحياة الزوجية الكريمة ، كما كانت على صلة قوية بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ويصف شوقى أمير الشعراء ذلك فيقول :

هـذا رسـولُ الله لـم ... ينقـص حقوقَ المؤمناتِ
العِلْمُ كـان شريعـةً ... لنسـائه المُتَفَقِّهـاتِ
رُضْنَ التجـارةَ والسيـا ... سـةَ والشُّئون الأُخْرَيـاتِ
ولقـد عَلَّـمْتْ ببنَاتـهِ ... لُجَجُ العـُلومِ الزخـراتِ
كـانتْ سُكَيْنَةُ تملأُ الـد ... نيـا وتهـزأ بـالـرُّواةِ
رَوَتِ الحـَدِيثَ وفَـسَّرتْ ... آىَ الكتـابِ الْبَيِّنـاتِ

وعن أبى مالك الأشعرى قال :

« يا معشر الأشعريين ، اجتمعوا واجمعوا نساءكم وأبناءكم حتى أُريكم صلاة رسول

---

(١) شرح صحيح البخارى للكرمانى ، ج ٢ .

(٢) المصدر السابق .

الله ﷺ . فاجتمعوا وجمعوا أبناءهم ونساءهم ، ثم توضأ وأراهم كيف يتوضأ ، ثم تقدم وصَفَّ الرجال فى أدنى الصف ، وصف الولدان خلفهم ، وصف النساء خلف الصبيان »[1]

فكان هناك فى الصدر الأول من الإسلام مثقفات فضليات ، وفيهن من يفضل الكثير من رجال المسلمين ، كأمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ . وكان من النساء من دخل فى عداد الصحابة الذين عُرفوا بالإفتاء ، فيقول الأستاذ الشيخ «خَلاَّف» فى كتابه (علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامى) : « إن عدد من عُرفوا من الصحابة بالإفتاء مائة ونيف وثلاثون ما بين رجل وامرأة » . وفى تاريخنا كثير من العالمات فى الحديث والفقه والأدب وغير ذلك .

(ب) أمثلة من النساء العربيات المتعلمات :

ذكر البلاذرى فى كتابه (فتوح البلدان) أمثلة كثيرة من النساء العربيات المسلمات اللواتى تعلمن القراءة والكتابة والنحو ، وروين الحديث ، وكن يعلمن غيرهن ، وكان مما درس على النساء بعض مشاهير الرجال .

ـ فالحافظ بن عساكر يروى الحديث عن أكثر من ثمانين امرأة .

ـ وروى أن « الشفاء العدوية» ـ من قبيلة بنى عَدِىّ ، رهط عمر بن الخطاب ـ طلب إليها النبى ﷺ أن تعلم زوجته أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب تحسين الخط وتزيين الكتابة .

ـ وكانت أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر ، وأم المؤمنين أم سلمة ـ رضى الله عنهما ـ تقرأان وتكتبان .

ويروى عن أم الدرداء الفقيهة الزاهدة حضها على العلم وتفضيله على كل ما سواه فتقول :

---

(١) أخرجه أحمد وابن أبى شيبة (انظر : الدين الخالص ، ج ٣) .

« لقد طلبتُ العبادة فى كل شىء ، فما أصبتُ لنفسى شيئاً أشفى من مُجالَسَةِ العُلماء ومذاكرتهم» . ولقد وصفها النووى فى كتابه «تهذيب الأسماء» بقوله : «اتفقوا على وصفها بالفقه والعقل والفهم» . وقد عاشت فى أيام معاوية ، وكانت تقيم ستة أشهر فى بيت المقدس ، وستة أشهر فى دمشق .

واشتهرت طبيبة بنى عواد بالطب فى الجاهلية والإسلام ، فكانت ـ فضلاً عن معالجة الأبدان ـ تُحسن طب العيون والجراحة .

كل هذه الأمثلة تعطينا مدى التصور العام للثقافة التى يمكن أن تخوضها المرأة المسلمة .

(جـ) لا تظلموا الإسلام :

إن تخلف المرأة علميًّا فى الجيل الماضى لم يكن الأصل فيه محاربة الإسلام لتعليم المرأة، وإنما كان مظهرًا من مظاهر الجهل وسوء فهم حقيقة الإسلام الذى جاء أصلاً لِيُنِيرَ العُقُولَ ، ويُهذب النفوس ، ويُخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والعلم .

وصدق الله عز وجل حيث يقول :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

وقد بَيَّنَ الله لنا الآيات لعلنا نتفكر :

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)

وتكرر قوله تعالى عدة مرات :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣)

---

(١) سورة الأنعام ـ من الآية ٥٠ . (٢) سورة البقرة ـ من الآية ٢٦٦ .

(٣) سورة الرعد ، من الآية الثالثة ـ وسورة الزمر ، من الآية ٤٢ ـ سورة الجاثية ، من الآية الثالثة عشرة . وسورة الروم من الآية الحادية والعشرين .

فلا تظلموا الإسلام بأنه سبب تخلفنا ، فالإسلام مفترى عليه .

يقول الشاعر الحكيم معروف الرصافى :

يقولـون فى الإسـلامُ ظلماً بأنـه يَصُدُّ ذَوِيهِ عـن طَرِيـقِ التَّقَدُّمِ

فإن كان ذا حَقًّا فكيف تقدمَتْ أوائِلُـهُ فى عهـدهـا المتقـدِّم ؟

و إنْ كانَ ذَنْبُ المسلمِ اليومَ جَهْلَهُ فماذا على الإسلام مِنْ جَهْلِ مُسْلِمِ ؟

ثالثاً : ما يجب أن تتعلمه المرأة :

لقد كان من الأهداف الكبرى للرسالة المحمدية ـ على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليمات أن : يُعَلِّمَهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ حيث يقول الله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢)

والمعرفـة نوعـان ، نـوع من صنع الله عز وجـل ، وهو الشطر الإيمانى للمعرفة ، ونوع من كسب الإنسان عن طرق العقل ، وهو الشطر المادى للمعرفة ، فأما النوع الذى هو من صنع الله فهو ما أوحى به الله عز وجل إلى رسوله الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، وهى المبادئ الخاصـة بالعقيدة والأخلاق والتشريع ، والقوانين التى ينتظـم

(١) الآية الثانية من سورة الجمعة .

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٦٤ .

بها المجتمع أفرادًا وجماعات ، وهى علوم الدين ، وجوهر كل ذلك هو التوحيد .

وأما النوع الذى هو كسب الإنسان عن طريق العقل فمعرفته تتأتى عن استنتاج العقل من نتائج وسائل المعرفة ، وهى الملاحظة والتجربة والاستقراء ، وهذا النوع من المعرفة هو مظهر الحضارة المادية ، وهو علوم الدنيا ، كالطب والهندسة والزراعة .

لذلك يجب على المرأة المسلمة ، وعلى كل إنسان مسلم أن يجمع بين نوعى المعرفة فى توازن واعتدال .

فإن من علامات الساعة التى ذكرها رسول الله ﷺ فى حديث شريف : « **أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ** » والعلم المقصود هنا هو العلم بالله ، أى العلم بالأساس الأول للعقيدة والخير والحق . وعلى أي الأحوال فإن التعليم الحقيقى هو إزالة أمية الحياة ، وإزالة الجهل بالسلوك الإنسانى السليم .

(أ) فرض عين وفرض كفاية :

يقول الإمام الشيخ محمد عبده :

« إن ما يجب على المرأة المسلمة أن تتعلمه من عقائد دينها وآدابه وعبادته محدود ، ولكن ما يطلب منها أن تتعلمه لنظام بيتها وتربية أولادها ونحو ذلك من أمور الدنيا ـ كأحكام المعاملات ـ يجب ألاَّ يكون محدودًا .

أى الأمرين أفضل فى نظر الإسلام ؟

أتمريض المرأة لزوجها إذا هو مرض أم اتخاذ ممرضة أجنبية تطلع عليه وتكشف من أحواله مالا يحب هو أو دينه أن تراه ؟

وهل يتيسر للمرأة إذا كانت جاهلة بفنون الطب والتمريض أن تُمَرِّض زوجها ، أو تقوم بتربية أبنائها تربية تحفظ عليهم صحتهم وعقولهم ؟» .

إن كلمة الإمام الشيخ محمد عبده فيما يجب أن تتعلمه المرأة توضح أن التعليم الذى يوجبه الدين على المرأة ليس مقصوراً على تعليم العقائد والآداب ، والعبادات فقط ،

وإنما يتناول كل مناحى الحياة التى تتصل بها وتستطيع القيام بأعبائها . كما يجب على كل إنسان مسلم أن يتعلم كل ما يتصل بأمور دينه وأمور دنياه . وقد أوضح العلماء أن ما تتعلمه المرأة نوعان :

فرض عين : وهو الذى تتعلم به أسس وقواعد العبادات والعقائد والسلوك الإسلامى العام ، وأسس تربية الأولاد وتدبير المنزل .

فرض كفاية : وهو نوع التعليم الذى تحتاج إليه الأُمة من طبيبات لأمراض النساء والأطفال ، وحكيمات وممرضات، ومدرسات لتعليم البنات ، إلى غير ذلك من أنواع التعليم الذى يلزم للمرأة .

فيجب على المرأة المسلمة أن تتجه بثقافتها وتعليمها إلى ما يخدم وظيفتها الطبيعية ، وهى رعاية البيت ورعاية الأولاد دينيًا وثقافيًا ، واجتماعيًا وعلميًا ، وغذائيًا وصحيًا . فالوظيفة الطبيعية للمرأة فى البيت هى تربية الأجيال ، وتربية الأبناء والبنات على الخُلُق القويم ؛ ليكون البيت المسلم صورة مشرفة يفخر ويعتز بها كل إنسان ، ويقول الشاعر الحكيم :

الأُمُّ مَدْرَسَـــةٌ إذا أَعْدَدْتَـــها أَعْـدَدْتَ شَعْـبًا طَيِّبَ الأَعْـرَاقِ

فالأم فى بيتها مُربية ومُعلمة ، والأم المتعلمة أقدر على متابعة أولادها وإدراك حاجاتهم النفسية والعقلية . كما أن المرأة المتعلمة أقدر على تفهم الحياة وطبيعة المجتمع ، والقيام بدور فى سبيل المشاركة فى نموه وارتقائه وسعادته .

وتقول باحثة البادية «مَلَك حفنى ناصف » فى محاضرة ألقتها ونشرتها مجلة المنار : «إن الأم مهما تعلمت ، وبأى حرفة اشتغلت ، فلن ينسيها ذلك أطفالها ، أو يفقدها عاطفة الشفقة والأمومة ، بل العكس ، إنها كلما تنورت أدركت مسئوليتها » .

« العلم منير للعقل على أى حال ، سواء عمل به أو لم يعمل ، ولو لم يكن للعلم لذة فى ذاته لما اشتغل بتحصيله الملوك وهم واثقون أنهم لن يكونوا مهندسين ولا تجارًا .

« إن المدارس مهما اجتهدت فى تثقيف عقول النشء أو تهذيبها فإن للمنزل تأثيرًا خاصًا على الأطفال » .

(ب) على المرأة أن تتعلم ما يؤهلها لوظيفة الزوجة والأم :

لاشك أن الطبيعة إذ فرقت بين الرجل والمرأة أرادت أن يكون للرجل اختصاص فى الحياة غير اختصاص المرأة ، وما اختلاف التكوين الجسمانى لهما إلا ليتجه كُلٌّ منهما إلى ما أُعِدَّ له ؛ ولذا فمن الأسلم والأليق بفطرة الحياة أن تثقف المرأة فى مهمتها التى أعدتها لها الطبيعة . فيجب أن توزع المعارف والعلوم على الذكر والأنثى بحسب الاستعداد الخِلْقى الذى حددت به الطبيعة لكل منهما مهمته فى الحياة .

إن المرأة خُلقت لتكون زوجة وأُمًّا ، هكذا فطرها الله :

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[1]

وفى إرادته ـ سبحانه وتعالى ـ الخير كله . فيجب أن تثقف بثقافة الزوجة والأم ، وتعلم من المعارف ما يزكى فيها قانون الزوجية وقانون الأمومة ، ويجب عليها أن تتعلم كيف تسوس الطفل ، ليس فقط سياسته فى رضاعه وطعامه وشرابه ولباسه ونومه ومرضه ، ولكن سياسة عقله وخلقه ؛ فالطفل جهاز حىٌّ لا قِطٌ بغير وعى ـ لكل ما يبدو من أمه من سمات الفكر والخُلق .

على المرأة أن تتعلم من المعارف ما يجعل سلوكها سياسة تربوية مرتبة للإيحاء بأقوم مناهج الفكر والخُلُق .

إن الأنوثة ليست مجرد أعضاء تختلف بها المرأة عن الرجل ، إنما هى قبل ذلك قوانين روحية ، ومواهب واستعدادات تتباين بها إنسانيتها من إنسانيته ، ومزاجها النفسى من مزاجه النفسى ؛ لتؤدى للحياة أثمن وأجل الوظائف ، وظائف الزوجية والأمومة .

---

(١) سورة الروم ـ من الآية ٣٠ .

فإذا كانت ثقافة البنت دائرة حول إعدادها زوجة صالحة ، وأُمًّا راشدة ، فذلك اختصاص طبيعتها ، وفيه الخير كل الخير .

أما أن تلحق الفتاة بكليات الهندسة والزراعة والفلك والحقوق والفلسفة وما شابهها ، فلن تجنى منه إلا أنها خرجت من نطاق الأنوثة التى خصتها بها الطبيعة إلى استرجال هى أول من ينكره ، ولن نستطيع أن نعى ذلك إلا إذا بلغنا من الإدراك ما نفقه به الأهداف التى أرادها الخالق سبحانه وتعالى بخلق الأنثى ، وزودها من أجلها فيما زودها به من خصائص نفسيه وإنسانية .

إن شيئاً من تلك العلوم ليس محرماً على البنت فى الإسلام ، ولكن المصلحة أن تدرس ما يعود عليها بالمنفعة فى مهمتها الأصلية .

إن العلم المطلوب هو العلم بدينها ، وكل معرفة تنير ذهنها ، وتُقَوِّم ضميرها ، وتصلها بآفاق الحياة العامة ، وتبصرها بأصول مهمتها وأهداف زوجيتها وأمومتها الروحية والاجتماعية ، وواجبها فى توفير الظروف الحسية والنفسية لعمل كُلٍّ من قُانونَيِ الزوجية والأمومة ، ومن حقيقة إنسانيتها ورسالتها التى يجب أن تحققها فى الحياة [1] .

ومن ناحية أخرى فإنه يجب على الزوج أن يُفَقِّه زوجته فى أمور دينها ، خصوصًا بالنسبة لأحكام الطهارة ، وما يتعلق كذلك بالحيض والنفاس ، وإلا فإنها ستكون جاهلة بأهم أمور دينها ، على أن يكون الزوج نفسه قدوة طيبة لزوجته فى كل سلوك إسلامى ، والتمسك بكتاب الله عز وجل وسُنة رسوله ﷺ .

قال أهل العلم : ومتى كان الرجل قائماً بتعليم ما يجب لزوجته امتنع عليها الخروج لسؤال العلماء ، وكذا إنْ أنابَ عنها فى السؤال وعَرَّفَها الجواب ، فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال ، بل واجبٌ عليها ذلك ، ويعصى الرجل بمنعها .

وإذا أهملت المرأة حكماً من الأحكام الواجبة ولم يعلمها الرجل إياه شاركها فى الإثم ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

---

(١) الإسلام والمرأة المعاصرة للبهى الخولى (بتصرف) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾[1]

فالزوج مكلف تعليم زوجته جميع ذلك .

ويقول تعالى :

﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾[2]

فأول واجبات الرجل المسلم أن يحول بيته إلى بيت مسلم ، وأن يوجه أهله إلى أداء الفريضة التى تصلهم بالله ، فتوحد اتجاههم العلوى فى الحياة ، وما أجمل الحياة فى رحاب بيتٍ أهله كلهم يتجهون إلى الله . .

وعموماً ، فإن العلوم التى يمتدحها الإسلام ويحث عليها هى العلوم التى توصل إلى الحقِّ سبحانه وتعالى ، وتوصل إلى الصراط السوى فى السلوك . . وتصل إلى الحق سبحانه وتعالى عن طريق كتاب الله ، وعن طريق التدبر والنظر المتأمل فى هذا الكون العظيم الذى يدل على عظمة خالقه جل وعلا .

وبتدبر كتاب الله ، والعلوم القرآنية ـ علوم الدين ، والعلوم الشرعية والعقيدية التى تبصر الإنسان المؤمن بكتاب الله ـ يزداد إيمان الإنسان ، كما تزداد استقامته فى سلوكه ، ويصل إلى الصراط السوىِّ فى السلوك عن طريق الهداية الإلهية التى جاءت بها رسالة القرآن ، إذ تضمنت ما ينهى الله عنه ، وما يأمر الله به .

وبجانب كتاب الله ـ للتعرف على المولى الحق سبحانه وتعالى ـ يوجد كون الله الذى نعيش فيه ، يوجد الإنسان فى خَلقهِ وتركيبه ، وتوجد الأرض ، والبحار ، والسماء ، والكواكب ، والجبال ، والسهول ، والأمطار ، والأنهار ، والآبار ، والزراعة ، والأنعام ، والحديد ، والصناعة . . الخ .

والله ـ سبحانه ـ إذ يطلب عن طريق الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى الناس أن

(١) سورة التحريم ـ من الآية السادسة .

(٢) سورة طه ـ من الآية ١٣٢ .

يؤمنوا بما فى كتاب الله ، يطلب إليهم فى الوقت نفسه أن ينظروا إلى مافى الكون من نظام وتدبير ونِعَمٍ لاتُعَدُّ ولا تُحْصَى ، وأن ينظر الإنسان ويتفكر فى خلقه .

وبالنظرة إلى الكون نشأت جملة من العلوم ، علوم إنسانية ، وعلوم اجتماعية ، وعلوم طبية ، وعلوم فلكية . . إلخ . . علوم تبحث فى هذا الكون وتنتهى فى بحثها إلى الإيمان بإله عظيم ، قادر ، حكيم يُحْكِمُ تدبير خلق هذا الكون ، ويمسك نظامه . وهكذا فعلوم الكون توصل إلى الإيمان بالله .

وتقديرًا لنوعى العلم : الدين والكون يقول النبى ﷺ فى علم الدين :

« مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فى الدِّين » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه فى علم الكون :

[مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ] .

ويقول ابن قيم الجوزية فى كتابه (إعلام الموقعين عن رب العالمين) :

« إنَّ ما يجب أن يتنافس فيه المتنافسون المسلمون هو العلم النافع والعمل الصالح اللذان لا سعادة للعبد إلا بهما ، واللذان بسببهما انقسم الناس إلى مرحوم ومحروم » .

ولما كان العلم للعمل قرينًا وشافعًا كان أفضل العلوم هو التوحيد ، ولا سبيل إلى اقتباسه إلا من حياة الرسول ﷺ .

وقال الإمام الشافعى رحمه الله : « مَنْ تَعَلَّمَ القرآن الكريم عَظُمَتْ قيمتُهُ ، ومَنْ نظرَ فى الفقه نَبُلَ قَدْرُهُ ، ومن كَتَبَ الحديثَ قَوِيَتْ حُجَّتُهُ ، ومن نظَر فى اللغة رقَّ طَبْعُهُ ، ومَنْ نَظَر فى الحِسَابِ جَزُلَ رَأْيُه » .

رابعاً : يجب أن يكون التعلم والتعليم باسم الله :

(أ) اقرأ باسم ربك :

لم يكن مصادفة أن تكون أول كلمة نزلت وحياً من الله عز وجل على قلب رسوله الكريم محمد ، ﷺ هى كلمة : «اقرأ» فى سورة العَلَق .

ولقد كانت دعوة رسولنا ﷺ هى ما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١)

وقد كَرَّمَ الله عز وجل العلماء ، ورفع من منزلتهم فى قوله تعالى :

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (٢)

ويقول عز وجل أيضًا :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (٣)

وفى هذه الآية الكريمة تقول حاشية الصاوى على الجلالين : المعنى : « إنما يعظم من العباد العلماء ، وإنما كان ذلك لكونهم أعرف الناس بربهم ، وأتقاهم له » .

لذلك فإن سمة الإسلام منذ ميلاده هى سمة العلم ، وكيف لا ، ومن تساوى يوماه فهو مغبون ، ومن لم يكن إلى زيادة فهو إلى نقصان ، وهل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟ . . إنَّ مداد العلماء المتقين لَيُوزَن فى ميزان الخير والحسنات بدم الشهداء ، فيرجح مداد العلماء . والعلماء هنا هم أهل المعرفة بسنن الله فى الكون وفى الناس ، فتشمل العلم العام بكل فروعه . وقد حث الإسلام على العلم ، قال ﷺ :

« مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِى فيه عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ . وإنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ ، وإنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فى السَّمَواتِ ومَنْ فى الأَرْضِ ، وحَتَّى الحِيتَان فى الماءِ ، وَفَضْلُ العَالِمِ على العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ على سائِرِ الكَواكب ، وإنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وإنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا ، وإنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ » (٤) .

---

(١) سورة طه ـ من الآية ١١٤ .

(٢) سورة المجادلة ـ من الآية الحادية عشرة .

(٣) سورة فاطر ـ من الآية ٢٨ .

(٤) رواه أبو داود والترمذى .

لذلك اندفع المسلمون الأوائل إلى البحث فى جميع ميادين الحياة الروحية والعقلية والمادية ، ونشأ عن ذلك حضارة إسلامية عظيمة أنتجت أمثال جابر بن حيان فى الكيمياء ، وابن الهيثم فى الطبيعيات ، وأبو بكر الرازى فى الطب ، وابن سينا فى الطب وفى الفلسفة ، والغزالى فى الجانب الروحى ، وابن رشد فى الفلسفة العقلية ، وابن خلدون فى الاجتماع والتاريخ ، وكثير غيرهم من علماء المسلمين .

إن الله سبحانه وتعالى قد امتنَّ علينا فى آيات كثيرة من القرآن الكريم بأنه عز وجل سَخَّرَ لنا الليل والنهار ، والشمس والقمر ، وسخر لنا الأرض والسماء وما بينهما .

وهذا الامتنان هو دعوة صريحة إلى المسلمين ليستجيبوا للتوجيه الإلهى فَيُسَخِّرُوا كل ذلك بالعِلْم والملاحظة والتجربة لنفع الإنسانية . والقرآن الكريم وهو يدعو إلى تسخير العلم المادى فى أى مجال يوجه الإنسان إلى أن يكون هذا العلم المادى فى طريق الله وباسم الله .

فإن الأمر الإلهى بالثقافة والعلم فى قوله تعالى : « اقرأ» اشترط أن تكون القراءة والعلم باسم الله :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (١)

لذلك فإنَّ الهدف الأول للعِلم فى الإسلام ـ سواء للإنسان المسلم أو الإنسانة المسلمة ـ هو إرضاء الله تعالى ، وإسعاد الفرد ذاته وأسرته ومجتمعه ، والإنسانية جمعاء . . هذا هو العلم الذى يدعو الله ورسوله إليه .

فإذا تجردت القراءة ، وتجرَّدَ العلم ، وتجرد التعلم لله تعالى ، وكان هدفه الأول والأخير هو ابتغاء وجه الله تعالى ، مصدر الخير والنور ، كان خيرًا ، وكان نورًا فى جميع الأرجاء والأزمان .

كما أن الإسلام وهو يوجه الإنسان إلى العلم المادى فى طريق الله لايقف عند ذلك ، وإنما يوجه الإنسانية أيضًا إلى مصدر آخر للعلم والمعرفة ، وهو القلب والروح

(٢) الآية الأولى من سورة العلق .

والبصيرة . فالإسلام يوجه الإنسانية إلى المعرفة الإشراقية أو الكشفية أو الإلهامية ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (١)

فالسمع والبصر هما أساس العلم المادى ، القائم على التجربة والملاحظة ، أما الفؤاد فهو أساس العلم الإلهامى . . إن الله سبحانه وتعالى يوجه المسلم إلى الملاحظة والتجربة ، ويوجهه أيضًا إلى الاستشراف للهداية والنور القلبى عن طريق الخُلُقِ الكريم ، والتقوى ، والإخلاص وحب الإنسانية ، والمعاونة فى الخير .

فالإسلام يجعل العلم أساساً للخير والسعادة البشرية ، ويجعل العلم فى إطار الأخلاق ، وبذلك يكون العلم قُرْبَى وعبادة إلى الله . فليكن ما تتلقينه أيتها الفتاة المسلمة من علم دينى ودنيوى باسم الله ، وفى إطار ما جاء بكتاب الله وسُنَّة رسوله ، وليس باسم حضارة المادة والجنس ، حضارة الغرب التى تسير على مبدأ أن العلم لا صِلَةَ له بالأخلاق .

أما ما تنادى به بعض الكاتبات المعاصرات من وجوب تعليم الفتيات والفتيان لأصول العلاقات الجنسية ، وتشجيع التحرر الجنسى الكامل للشابات والشباب بادعاء العلم ـ كما هو الحال فى الغرب ـ فستكون نتيجته الوصول بالعلاقات الجنسية الشريفة إلى درجة الإسفاف والابتذال ، وبالأسرة إلى التفكك والانهيار ، وبالمرأة إلى الامتهان والإذلال . فلتحذرى أيتها الفتاة المسلمة هذه الأبواق الضَّالَّة المُضِلَّة ، ولتكشفى حقيقة تلك الشعارات الكاذبة التى هدفها الأساسى القضاء على مقومات ومبادئ المجتمع الإسلامى الطاهر الشريف .

(ب) يجب أن يكون كل شىء باسم الله :

والقرآن الكريم لا يقصد بأول آية نزلت من وحى الله وهى قوله تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ﴾ لايقصد القراءة فحسب ، والتعليم والتعلم فحسب ، وإنما التعلم والقراءة رمز

(١) سورة الإسراء ـ من الآية ٣٦ .

لكل ما يفعله الإنسان ـ ذكرًا كان أو أنثى ـ فى الجانب الإيجابى ، وكل ما يتركه الإنسان فى الجانب السلبى .

أيتها الفتاة المسلمة : اقوئى باسم ربك . . تحركى باسم ربك . . اعملى باسم ربك . كل شىء باسم الله افعليه وأتيه ، وكل شىء لايكون باسم الله لاتفعليه ولا تأتيه ، كما فى قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ (١)

فكل مالم يُذكر اسم الله عليه فهو فسق . وكل شىء لايكون لوجه الله فهو فسق .

أيتها الفتاة المسلمة : لو التزمت بذلك فستكونين على قمة الإخلاص والإحسان ، وعلى قمة التقوى والصدق .

ومادامت الحياة كلها لله ، فليس هناك مجال للكذب والرياء والنفاق والخديعة ، إرادة غير الله تعالى بالأعمال .

ولذلك وضح الله تعالى الغاية من خَلْق الإنسان فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢)

لذلك يجب أن يكون تعليمك وتعلمك ، وأن تكون حياتك فى كل اتجاهاتها عبادة لله ، وأن تبتغى بأعمالك كلها وجه الله . وصدق رسول الله ﷺ حين يقول :

[إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَانَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَة يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ] (٣) .

فإذا كانت كل أعمالنا وأقوالنا لله عز وجل فسنسمو حتى نصل إلى أن تكون حياتنا كلها ـ من علم وعمل وقراءة وكتابة ، وكل نواحى الحياة ـ عبادة لله الواحد القهار :

---

(١) سورة الأنعام ـ من الآية ١٢١ .

(٢) سورة الذاريات ـ الآية ٥٦ .

(٣) حديث متفق عليه .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1]

فيجب علينا أن نبدأ كل شيء باسم الله ، والبدء باسم الله هو الأدب الذى أوحى الله لنبيه ﷺ ، فالله سبحانه هو الموجود الحق ، الذى يستمد منه كل موجود وجوده ، ويبدأ منه كل مبدوء بدأه ، فباسمه يكون كل ابتداء ، وباسمه تكون كل حركة وكل اتجاه ، فإليه سبحانه المرجع والمآل ، وهو سبحانه المستحق لأن يُستعانَ به فى مجامع الأمور ، فهو المعبود بحق ، وهو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها ، سبحانه وتعالى ، مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

أمور يجب أن تراعيها المعلمة والمربية :

(أ) الأسوة السلوكية :

أيتها الفتاة المسلمة ، إذَا كان يجب عليك أن يكون تعليمك فى طريق الله وقراءاتك وكل أعمالك باسم الله ، فيجب عليكِ أيضًا ـ وأنت أم ومربية ـ أن يكون تعليمك لأولادك وتعليمك لجيل من بنات جنسك فى طريق الله، وباسم الله ، وذلك بأن تكونى الأسوة السلوكية الحسنة ، وتكونى مثلاً يُحْتَذى لأولادك وبنات جنسك ، فالعلم لابد أن يسير إلى تطبيق عملى ، والتطبيق العملى لكى يكون سليماً ويؤتى ثماره لابد أن نكون هناك الأسوة السلوكية ، ولابد أن يجد الأولاد فى الأم والمعلمة الأسوة الحسنة حتى يكون العلم مطابقًا للسلوك وليس منفصلاً عنه ؛ لأنه إذا انفصل العلم عن السلوك فستكون الطامة الكبرى ، وسيكون الجهد مضاعفًا . وحيث إن التقليد عنصر من عناصر العلم فستتعلم البنت عن طريق التقليد السلوك الخاطىء من أمها أو مربيتها .

إن البنت التى تتعلم من أمها أو مربيتها أن السفور والخلاعة هى الشيء الطبيعى ، وأن الذهاب «للكوافير» من علامات الرقى والتحضر ، وأن إهمال الصلاة لاشيء فيه ،

---

(١) سورة الأنعام ـ الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ .

ستنطبع هذه التصرفات وهذا السلوك فى أعماقها ، فإذا جئنا بعد ذلك محاولين تعليمها سلوك وأخلاق الإسلام الحنيف لتكون الفتاة المسلمة الملتزمة التى تفخر وتعتز بعقيدتها ودينها قولاً وسلوكاً فإنه سيلزم حينئذ أن يؤدى العِلْمُ ـ وهو وسيلة للتربية ـ مرحلتين :

* مرحلة علاج الجهالة ، بإزالة المعلومات الخاطئة والسلوك المنحرف الذى تعلمته نتيجة التقليد .

* ثم مرحلة إزالة الأمية ، وذلك بتعليم القواعد الصحيحة والأساس السليم للسلوك الإسلامى .

يقول تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ (١)

ويجب أن نلاحظ أن قصارى ما فى علوم الدنيا ـ كالطب أو الهندسة أو الزراعة ـ أن تقوم معلمتها بتوصيل المعلومات إلى ذهن الطالبة ، ثم بعد ذلك فإن الطالبة نفسها ستقبل عليها وتتمسك بها وتستزيد منها ؛ لأنها ستفيدها فى مسائل دنياها . أما علم الدين فالطالبة لاتتلقى مجرد الإيمان بالله ، وإنما تطالب بعد إيمانها بأن تفعل بعض أشياء ولاتفعل أشياء أخرى ؛ لذلك فليس كافيًا من المعلمة أن تعلم الدين وأحكامه ، ولكن عليها أن تحمل نفسها على أداء ما يطلب منها الدين حتى تكون مثلاً يحتذى .

فعلم الدين إذن فيه كلامٌ يُقال ، وفيه من جانبٍ آخر سلوكٌ يُفْعَل ويُؤَدَّى ، ولكى ينمو الدين وتتحقق ثماره فلابد على مَنْ تتعلمه أن تطبقه حتى نجد التى تُعَلَّم وتطبق تعاليمه فى الوقت نفسه .

فالأزمة بالنسبة للإسلام ليست أزمة علم به ، وإنما أزمة تطبيق له ، ويرجع إخفاق تدريس مناهج التربية الإسلامية إلى أن علماء التربية جعلوا الإسلام علمًا كبقية العلوم ، يكفى فيه إيصال المعلوم إلى المتعلم .

---

(١) سورة النحل ـ من الآية ٧٨ .

فهذا وحده لايكفى ؛ لأنه بالإضافة إلى العلم يُطلب منه أن يخضع سلوكه لما يُطْلَب منه ، بما فى ذلك افعلْ كذا ، ولاتفعل كذا .

فالإخفاق ليس فى العلم ، ولكن فى التطبيق ، حيث سيؤثر فى النفس اختيار حركة عن حركة ، واختيار سلب عن إيجاب . وعليه فيجب على مَن يُعَلِّم أن يكونَ مُطَبِّقًا لما يُعَلِّمُهُ حتى توجد الأسوة الحسنة فى السلوك .

وعلة المشكلة أننا نعنى بالعلم ولانعنى بنموذج التطبيق السلوكى ، مما يطبع النشء فى قضية الدين على أن هناك عِلْمًا يُعَلَّم فقط ولا مدلول له غير هذا ، وسلوكاً يحكم ، فمسئولية العالِم كبيرة وجسيمة ، وأن العالِمَ إذا زَلَّ زَلَ بزلَّتِه عَالَمَ . وشنع الله تعالى على ذلك بقوله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1]

وقد صور الرسول ﷺ موقف العالِم الذى يأمر الناس بالخير ولا يقوم بأدائه تصويرًا معبرًا فيما رُوِىَ عن أسامة بن زيد ، رضى الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُؤْتَى بالرَّجُل يَوْمَ الْقِيَامَة فَيُلْقَى فى النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْطَابُ بَطْنِه ، فَيَدُورُ فيهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ فى الرَّحَا ، فَيَجْتَمِعُ إليه أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يا فُلان ، مَالَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، كُنْتُ آمرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ » .

ومن الآثار الواردة فيما يتصل بقارئ القرآن الذى لايعمل بما قرأ ، قول بعض السلف : « رُبَّ تَالٍ للقُرآنِ والقرآنُ يَلْعَنُهُ » . يَقُولُ : أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمين ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ » .

وفى الحديث الصحيح : [القُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ] .[2]

---

(١) سورة الصف ـ الآيتان : ٢ ، ٣ .

(٢) رواه الشيخان .

كل ذلك يوضح لنا مدى أهمية الأسوة السلوكية ومدى أهمية أن تكون الأم والمربية والمعلمة مثلاً يُحْتَذَى ، وأسوة حسنة لأولادها وتلميذاتها ، علماً وعملاً ، وتطبيقاً وسلوكًا .

(ب) يجب ألاَّ ينفصل العلم عن الله :

كما يجب على المرأة المسلمة وهى تُعلم جيلاً من الفتيات وتربيهم ألا تغفل دينها عن منهج تربيتها فى أى مادة من المواد ، وفى أى فن من الفنون : فى الطبيعيات ، وفى الكيمياء ، وفى الجغرافيا ، وفى التاريخ ، وفى علم النبات ، وفى علم الحيوان ، وفى علم الفلك ، وفى كل أنواع العلوم والفنون ، وذلك حتى لاينفصل العِلم الذى يُعَلِّمُه المربون والمربيات فى أى لون من ألوانه عن الله عز وجل .

والعلم لايخلق الحقائق ، ولكنه يكشف الحقائق الموجودة فعلاً ، والقرآن الكريم يتكلم عن حقائق واقعة ملموسة ، سواء عرفها الإنسان أو لم يعرفها بعد ، ووسيلة الإنسان إلى محاولة معرفة هذه الحقائق يأتى عن طريق إعمال النشاط الذهنى بالملاحظة ، والتجربة ، والاستقراء .

إن القرآن الكريم كتاب الله وآياته ، والكون آية من آيات الله ، وهو الكتاب الحق الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد نزل القرآن الكريم مناسبًا لكل العصور ، وكل عصر يأتى له القرآن بخير جديد فى الفكر ، وفى تأكيد الإيمان ، وخير جديد فى مواجهة تطورات الحياة ليعيش الإسلام ويبقى ديناً لكل العصور ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

خامساً : العلم لا نهاية له :

(أ) مواصلة التزود بالعلم :

إن طلب العلم ليس له حدود يمكن الوقوف عندها ، وإنما على الفتاة المسلمة أن تواصل قراءاتها وتعلمها وتثقفها فى شتى أنواع الثقافات والعلوم ، وخاصة فيما يتعلق منها بمجالات وظائفها الطبيعية الأساسية كزوجة وكأم حتى تزداد خبراتها علماً وعملاً

ويتسع أفقها ، وينعكس ذلك كله بالخير عليها وعلى زوجها وأولادها وبيتها ومجتمعها ويجب على الفتاة المسلمة ألاَّ تغتر بعلمها مهما أُوتيت من علم ، وحصلت على درجات علمية ، بل يزيدها ذلك تواضعًا للخَلْق ، وخشية للخالق عز وجل .

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (١)

ويوصينا الرسول ﷺ بمواصلة التزود بالعلم طوال حياتنا :

[خُذِ الْعِلْمَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ] .

ويقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه :

[لا يَزَالُ الرَّجُلُ عَالِمًا مَاطَلَبَ الْعِلْم ، فَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهِلَ] .

ويقول الإمام الشافعى رضى الله عنه :

كلما أدَّبَنى الدهـ ـرُ أرانى نَقْصَ عَقْلى

وإذا ما زِدْتُ عِلْماً زادنى علماً بِجَهْلِى

ويقول الشاعر الباكستانى محمد إقبال :

قالت النفسُ قد علمتُ كثيرًا قلتُ هذا الكثير نَزْرٌ يَسِيرُ

تملأُ الكنوزُ غرفةً من محيط فيرى أنه المحيط الكبير

وقال صلوات الله وسلامه عليه : [إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا] .

قَالُوا : يا رسولَ الله ، ومَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ

قَالَ : « مَجَالِسُ الْعِلْمِ » (١) .

(ب) عظات وعبر من قصص الأنبياء :

سليمان والهدهد :

يوضح لنا القرآن الكريم فى قصة سيدنا سليمان عليه السلام أن الإنسان مهما أوتى

---

(١) سورة فاطر ـ من الآية ٢٨ .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس .

مـن العلم فلـن يحيط إلا بالقليل . فسليمان عليه السـلام آتاه الله علمًا كثيرًا ، وكـان على معرفة واسعة وعميقة ، وقال عز وجل مبيناً ما منح سبحانه سليمان وأباه داود من العلم :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ (١)

ومع ذلك جاء الهدهد الطائر الصغير الضعيف وقال لسليمان النبى الكريم الملك العظيم :

﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ (٢)

نعم ، أحاط الهدهد الطائر الضعيف بما لم يُحِطْ به نبى الله .

ويعطينا القرآن الكريم عظة وعبرة من هذه الواقعة ، وهى أن العِلْمَ لا نهاية له ، وأن الإحاطة به مستحيلة ، والناس يتقاسمون بعضه ، يُحيط منهم فريق بما لم يحط به الآخرون ، وهم جميعًا لايحيطون إلا بالبعض القليل .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣)

موسى والخضر :

كما يوضح لنا القرآن الكريم قصة أخرى لنبى من أنبياء الله التقى بعبد من عباد الله أعلم منه ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

حدثنى أُبَيُّ بن كَعْب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

[إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيباً فى بَنِى إِسْرائِيلَ ، فَسُئِلَ : أَىُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ قَالَ : أَنَا .

---

(١) سورة النمل ـ من الآية ١٥ .

(٢) سورة النمل ـ من الآية ٢٢ .

(٣) سورة الإسراء ـ من الآية ٨٥ .

فَعَتَبَ الله عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ ، فَأَوْحَى الله إِلَيْهِ أَنَّ لى عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ] .

ولمَّا التقى موسى بالخضر ، قال الخضر لموسى :

« إنِّى على عِلْمٍ من علم الله عَلَّمَنِيه لا تعلمه أنت ، وأنت على عِلْمٍ من علم الله علمك الله لا أعلمه » .

ولما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة ، فقال الخضر لموسى :

« ما عِلْمِى وعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ الله إلا مِثْلُ ما نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ هَذَا الْبَحْرِ»[1].

سبحانه وتعالى الذى أحاط بكل شىء علماً .

إنَّ قصة موسى والخضر هذه هى قصة هذه الحياة وهذا الكون الذى نعيش فيه ، إنها قصة تثبت فى صورة عملية واضحة رائعة أن وراء المعلومات والمكشوفات فى هذا العالم وفى هذه الحياة مجهولات كثيرة ، وأن ما يجهله الإنسان ـ وأعظم إنسان فى عصره ـ أكثر مما يعلمه ، وأن الإنسان دائماً يبنى حكمه على ما يشاهده ويشعر به ؛ ولذلك يخطىء كثيراً ويتعثر كثيراً ، وأنه لو انكشفت للإنسان حقائق الحياة وبواطن الأمور وعواقبها لتغير حكمه كثيراً ، ونقض ما أبرم ، فإنه لا إحاطة له بهذا الكون الواسع .

فالحياة غامضة ، وبها ألغاز لايستطيع أى إنسان على ذكائه وعلمه أن يحلها ، والكون واسع فسيح ، لن يستطيع العِلْم البشرى مهما اتسع وارتفع أن يكشف غوامضه ؛ لذلك لو منح الإنسان حرية التصرف المطلق لأَفْسَدَ العالم وأهلكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ ؛ لأن نظره قاصر ، وعلمه محدود ، وقد خُلق الإنسان مِنْ عَجَل ، وفُطِرَ على السرعة وقلة الصبر . لقد اختار الله لتقرير هذه الحقيقة العظيمة التى هى أساس الإيمان بالغيب أعظم شخصية فى عصره ، والذى أُوتى علماً كثيراً ، وخيراً كثيراً ، وهو موسى

---

(١) رواه البخارى .

عليه السلام ، وتبدأ رحلة موسى مع الرجل الذى آتاه الله من عنده رحمة ، وعَلَّمَهُ مِن لَدُنْهُ علماً ، فيصطدم علم موسى وفهمه بالأحكام الظاهرة مع واقع الأمر والحقيقة الباطنة التى يجهلها فى ثلاث قضايا .

أولها : يخرق الخضر السفينة التى حملتهما وأركبهما صاحبها عليها من غير أجر .

ثانيها : يقتل الخضر غلاماً ذكيًّا لم يُسِئْ إليهما ولم يسئ أبواه .

ثالثها : يقيم الخضر جداراً من غير أجرة يتقاضاها فى قرية لم يُضَيِّفْهُمَا أهلها ، ولم يعرفوا حقهما .

تصرفات غريبة من الخضر الذى يتخذ موقفاً لايقره العقل ، ولا يؤيده المنطق ، ولا يستسيغه الذوق .

ولا يملك موسى نفسه ـ وهو المؤمن الغيور والنبى المرسل ـ أمام هذه التصرفات الغريبة إلا أن يتساءل مستنكراً :

﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ (١)

ولكن الظاهر لنا شىء والحقيقة التى تخفى علينا شىء آخر . وما أعجب الحقائق إذا ظهرت . ويكشف الخضر القناع عن هذه القضايا الثلاث التى كانت موضع دهشة واستغراب موسى ، فيتجلى أن الخضر كان مصيباً ، ومحسنًا حكيمًا فى تصرفاته الثلاثة ، وأنه لم يكن مسيئًا فى موضع إحسان ، ولا محسناً فى موضع إساءة .

فقد أحسن الخضر إلى صاحب السفينة بخرقها ، إذ حفظها من الاغتصاب ، فقد كان وراءها ملك يأخذ كل سفينة ـ صالحة سليمة ـ غصباً ، فكافأه بذلك على إحسانه ومعروفه .

وقد أحسن الخضر إلى أبَوىْ الغُلام بقتله ، إذ كان الغلام فتنة لهما ، كان يخشى أن يرهقهما طغياناً وكُفْرًا ، فرأى أن بكاء ساعة أفضل من بكاء طول الحياة ، وما بعد الحياة فالغلام عنه عوض ، ولكن لا عوض عن الدين والعافية .

---

(١) سورة الكهف ـ من الآية ٧٤ .

وقد أصلح الخضر الجدار وأقامه لأنه كان ليتيمين من أبوين صالحين ، وكان تحته كنز لو تهدَّم الجدار لانكشف الكنز واختطفه الناهبون ، وبقى الغلامان من غير مال ولا رصيد .

وهكذا يظهر أن صلاح العمل ينفع فى الحياة وبعد الممات :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)

وهنا يظهر الفرق بين من يحكم على الظاهر لأنه حجبت عنه الحقيقة ، وبين مَنْ عنده الحقيقة .

وما أعجب الحقائق إذا ظهرت ، وما أبعد الشقة بين الصورة والحقيقة ، وبين الظاهر والباطن ! وما أجرأ الإنسان فى ادعائه أنه احاط بكل شىء علماً ، وادعائه أنه وصل إلى الحقيقة فى كل قضية فيشرع لنفسه ويترك شريعة الله !

وما أبعد الإنسان عن الصواب وسُبُل الرشاد حين يتبع هواه .

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (٢)

إن العلم البشرى لم ولن ينتهى إلى الحد الأخير ، وصدق الله العظيم العليم حيث يقول :

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣)

إن هذه القصة وما تشتمل عليه من روح ومغزى تتحدى التفكير المادى الذى يلح على أن الحياة هى التى فهمها الإنسان ، وعلى أن الكون هو الذى أحاط به الإنسان علماً ، وأن ليست الحقيقة إلا ما تتراءى للعيون . وأن حكم الإنسان على الظاهر وقيام الإنسان بالتشريع بادعائه أنه قد اكتمل عقلاً وعلماً ودراسة ، وبلغ إلى أعماق العلم

---

(١) سورة التوبة ـ من الآية ١٢٠ .

(٢) سورة القصص ـ من الآية ٥٠ .

(٣) سورة يوسف ـ من الآية ٧٦ .

وحقائق الكون ، كلها ادعاءات زائفة باطلة ، وادعاءات فاسدة مضللة . لقد قامت الفلسفات المادية والحضارة العصرية على أساس هذا التفكير ، والاعتقاد بفهم الإنسان كل شيء ، وحُكمه على إساس ظاهر الحياة . وقصة موسى والخضر تنقض هذا الأساس وتهدم هذا البناء ، وتنتهى القصة بقول الخضر لموسى :

﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [1]

والتأويل فى اصطلاح القرآن الكريم هو الحقيقة . وهكذا يتعجل الإنسان وينكر ويخطىء حتى تتجلى له الحقيقة ويأتى التأويل [2].

(١) سورة الكهف ـ من الآية ٨٢ .

(٢) فى رحاب الكون ، مع الرسل والأنبياء ، للمرحوم الدكتور عبد الحليم محمود . وتأملات فى سورة الكهف للشيخ أبى الحسن الندوى ومحاضرة للشيخ محمد متولى الشعراوى بكلية الطب ـ جامعة القاهرة .